خطوة حل حزب الرفاه دليل جديد على إستمرار المؤامرات العلمانية في تركيا

عطاء الرحمن الندوي

أجمعت الدول الإسلامية والعربية والأوساط العلمية والفكرية والسياسية العالمية بمختلف توجيهاتها الفكرية والسياسية على استنكار قرار المحكمة الدستورية التركية الذي أصدرته المحكمة يوم الجمعة ١٧رمضان المبارك ١٤١٨هـ والمصادف ١٦ يناير ١٩٩٨م بحل حزب الرفاه الإسلامي الذي يقود التيار الإسلامي منذ الأربعينات في تركيا، وهزت المحكمة الدستورية التركية الأوساط الإسلامية في العالم الإسلامي وخارجه بإصدار هذا القرار الأسود في التاريخ الراهن ، وأجرحت قلوب المسلمين ومشاعرهم في العالم كله ، ورفضت حقوق الإنسان وحرية آرائهم في العصر الذي يقال عنه بأن هذا العصر عصر حرية الرأي ، وعصر تأمين حقوق الإنسان ، وعصر إقامة المحبة والأخوة بين الناس ، وعصر المساواة والمواسات ، ولذلك أبدت الصحافة الإسلامية وغير الإسلامية العالمية التي تلعب دورها المحايد في مجال نشر آراء الحركات السياسية الإسلامية ورجالها البارزين وزعمائها الكبار من مشارق الأرض ومغاربها إهتماما كبيرا بمتابعة هذا القرار سواء على الصعيد التغطيات الصحفية أو المقالات المنددة بالقرار وخلفياتها القديمة حيث جرت من عيونهم مساحيق الدموع .

كما عبرت الحركات الإسلامية العالمية ورؤسائها الكبار وشخصياتها البارزة يمثلون مختلف المنظمات الإسلامية السائدة في العالم كله والأحزاب السياسية عن حالة إجتماع حركاتهم وأحزابهم في استنكار حل حزب الرفاه الإسلامي واستيلاء على ممتلكاته وأمواله مع منع البروفيسور نجم الدين أربكان - رئيس الوزراء السابق - من ممارساته الإسلامية ونشاطاته السياسية لمدة خمس سنوات في بلاده ووطنه مع أنه كان رئيسا للوزراء في البلاد وما ذلك ببعيد ، ولأجل ذلك شهد العالم الإسلامي وخارجه منذ إصدار هذا القرار الأسود ردود فعل عنيف وقوية شديدة ضد قرار الحظر والحل والمنع ، واستنكرت هذه الخطوة واعتبرتها خطوة خطيرة وحقدا قديما للإسلام والمسلمين ودليلا جديدا على استمرار المؤامرات العلمانية الشنيعة في تركيا ، التي دبرت للقضاء على سمة تاريخ الإسلام والمسلمين من التاريخ التركي ، كما كان متوقعا فيها ، حتى راى العالم بأن المؤسسة العسكرية التركية أجبرت المحكمة الدستورية التركية على إصدار هذا القرار - ضد حزب " الرفاه " الإسلامي - الذي يمهد السبيل للقضاء على التيار الإسلامي في تركيا بكل سرعة كما هي تتوقع وتريد منذ نهاية السبعينات ، وهذا القرار الأسود يدل على إظهار العسكر بكل مظاهر اللاانسانية واللاأخلاقية وخروجه من القوانين الدولية لكي يضرب أبناء الإسلام ضربة قاضية ، ويظهر أمام العالم بأن العسكر التركي أبطال ، مع أن حزب " الرفاه " الإسلامي يقود التيار الإسلامي التركي المنطلق بسرعة كبيرة نحو المستقبل الأفضل منذ يومه الأول لتغيير تاريخها الأسود العلماني الذي صنعته الحكومة الكمالية العلمانية على الرغم من الحواجز العلمانية الداخلية والخارجية التي تنصب أمامه بالإستمرار ويريد العسكر التركي بإصدار هذا المنع عن نشاطات نجم الدين أربكان الزعيم الإسلامي التركي لجر رجال الحركة الإسلامية ومويديها إلى الشوارع لسحقها إذا حاولوا الإحتجاج ضد هذا القرار العسري ، لأن العسكر يعرف حق المعرفة بأن الرفاهيين يغتنمون هذه الفرصة الثمينة للإحتفال بولادة حزب جديد باسم جميل تحت راية الإسلام ، حيث أصبح رئيس الوزراء السابق نجم الدين أربكان بنظر مؤيديه وأنصاره بمثابة الزعيم الإسلامي والمرشد الروحي الكبير بفضل هذا القرار والحظر والحل والمنع والظلم ، وإن البروفيسور نجم الدين أربكان سوف يلعب دورا بارزا في الزعامة والقيادة ولو من خلف الستار أو من وراء القضبان وستبقى إرشاداته الإيمانية تقود الحركات الإسلامية من المنفى أو بعد الموت ، حيث إرتبطت الحركة الإسلامية التركية إرتباطا وثيقا بشخصية مؤسسيها البروفيسور نجم الدين أربكان ، فإنه يقود الإسلاميين الأتراك من خمس وعشرين عاما إلى تجربة حركية ، وبدأ حياته بقيام نشاطاته المعادية لـ " الأتاتوركية " في عام ١٩٦٩م حيث أنشأ حركة إسلامية وهي حزب " الرفاه " الإسلامي ، وإن الحزب " الرفاه " تقدم بخطط ثابتة منذ نعومة أظفاره ، ونال مكانا مرموقا لدى عامة الناس وخاصتهم ، حتى دخل هذا الحزب في الإنتخابات البرلمانية في عام ١٩٩١م وفاز في عام ١٩٩٦م في الإنتخابات النيابية بأكثر من ٢١ في ١٠٠ من أصوات الناخبين ، ولكن ما استطاع أن يقوم بحكومة مستقلة كما يعلم الجميع ونحن لا نريد أن نطيل الكلام على القرآء في هذا الصدد .

وإن التاريخ التركي يشهد لنا بأن المواجهة العلمانية الحالية التي نشهد اليوم بين الإسلاميين ليست حديثة العهد بل عمرها من عمر الجمهورية التركية ومن الحكومة الكمالية وذلك من عام ١٩٢٣م ، وذلك العام عام الإصلاحات المزعومة التي جاء بها كمال أتاتورك وشكلت ما يسمى بالكمالية والتي أرادت

وهيأت وارتكزت على تصفية النشاطات الإسلامية وكل ما يمت إلى الإسلام بصلة مع استئصال جذور رجال الدين الإسلامي الحنيف من أرضها في فرصتها الأولى ، فقامت بحظر على النشاطات الدينية والتظاهر الإسلامي والتضييق على أي نشاط له طابع إسلامي فيها مباشرة ، ومن هنا بدأت هذه الإستراتيجية السياسية للضغوط على الأحزاب السياسية عامة والأحزاب الإسلامية خاصة ، ولذلك نحن نرى قد تم فرض الحظر على أحزاب أخرى في فترات سابقة ، ولكن كان بين ذلك فرق كبير ، لأن الحظر كان في تلك الفترات من قبل الإنقلابات العسكرية ، ولكن اليوم شهدت تركيا المرة الأولى التي تم فيها حظر حزب " الرفاه " الإسلامي في ظل الحكومة التي ترفع شعار الديمقراطية ، ومما يجدر بالذكر بأن حزب " الرفاه خرج كأكبر الأحزاب التركية في الساحة التركية في الأعوام الأخيرة ، حيث إن الرفاه أكبر حزب برلماني حصل على ١٥٠ مقعدا من ٥٥٠ مقعدا في الإنتخابات المنصرمة التي جرت في عام ١٩٩٦م ، ولذلك نحن نوجه السؤال إلى حملة لواء الديمقراطية التركية فأي ضربة إذن تكون قاضية للديمقراطية بجنب ظلمها وقساوتها ؟ !! وأي شلل يصيب الحياة السياسية التركية ؟ !! .

والآن ينبعث السؤال من جهات مختلفة على الصعيد العالمي على هذا القرار الأسود وتعتبره أحداً من فصول تلك المحاولة الكمالية التي فشلت في بداية هذا القرن الراهن ، وتسأل هل تنجح هذه المحاولة الخبيثة في نهاية هذا القرن ؟ أم تصبح تركيا جزائر أخرى لتحقيق هذه المصالح العسكرية الشنيعة؟ أم تدخل في الحرب الأهلية المدمرة ؟ - لاقدر الله بذلك - وإن هذا السؤال الأكثر ترددا ليس في عواصم الدول العربية وشوارع المناطق الإسلامية فحسب بل في عواصم العالم كله ، كما نشرت جريدة تركية مقالا في شهر يناير المنصرم ١٩٩٨م بعد إصدار هذا القرار تحت عنوان (آخر وصية لأتاتورك : العبادة باللغة التركية) وكتب صاحب المقالة في نفس المقالة : إن أتاتورك ألقى خطبة إستغرقت ساعة ونصف في عام ٤-٢-١٩٢٣م في جامع زاعانوس باشا ، وهو جامع قديم في مدينة باليق أسير ، وذكر أتاتورك في هذه الخطبة أول إشارة لرغبته في تتريك العبادة ، وكما أكد الخطباء في الحفلة " أسبوع ذكر أتاتورك " التي إنعقدت في نوفمبر المنصرم ١٩٩٧م في مركز أتاتورك الثقافي بإستانبول ، بأن أتاتورك قد وضع اللبنات الأساس لمشروعه تتريك العبادة في عام ١٩٣٦م ، وأن وصايا أتاتورك هي تتريك العبادة ، ثم وصف جهده في إبلاغ الرئيس سليمان ديميرال بوصية أتاتورك وضرورة تحقيقها ، وقال جمال قوطاي في هذه المناسبة ، وهو مثقف تركي وعلماني كبير فيها ، إنه كتب للسياسيين الذين حكموا تركيا بضرورة تنفيذ وصية أتاتورك خاصة في عام ١٩٩٨م .

وإن الزعيم العلماني جمال قوطاي وجه هذه الدعوة العلمانية إلى الشعب التركي لتنفيذ وصايا أتاتورك العلمانية في حين بدأت فيه المؤامرات العلمانية ضد الإسلاميين بالقوة وتلعب دورا غير مسبوق منذ الأربعينات ، وإن المؤسسة العسكرية تريد القضاء على النشاطات الإسلامية في البلاد وأن تلقي ربقة الإستعباد والأغلال في أعناق أبناء الإسلام وقيود العبودية والأذلاء في أرجلهم ، كما طالبت من الحكومة إغلاق مراكز الطرق الدينية وإعداد المادة ١٦٣ التي ألغيت في عهد تورجوت ، وهذه المادة التي تجرم مهاجمة شديدة على رجال الإسلام أو الدعاية الكاذبة للإسلام والشريعة الربانية وإعادة هذه المادة وإصدار هذا القرار من الحملات المتواصلة من المؤسسة العسكرية إذ هدد رئيسها إسماعيل حقي بإقتلاع جذور الإسلاميين من أرض تركيا ، وإن المؤسسة العسكرية عاذمة على سحقهم وإبادتهم في ديارهم .

وقد شهد التاريخ التركي فشل تتريك العبادة كما شهدت السماء ، حيث صُدر الأمر في عام ١٩٣٢م بتحويل الأذان من لغته العربية التي كان عليها من أول يومه وكذلك كان على حياة الأتراك منذ أكثر من ألف سنة إلى اللغة التركية لأول مرة في التاريخ التركي ، وبدلا من أن يرفع المؤذن الأذان بقوله (الله أكبر) أصبح يقول (طانري أولو دور) وكان هذا أمراً غير مستساغ لدى الشعب التركي حتى تطورت الإنفراجية الديمقراطية فيها عاد الأذان إلى لغته الأصيلة وهي اللغة العربية ، وذلك في عام ١٩٥٠م ، ولأجل ذلك قال أحد من الكتاب البارعين الأتراك الأستاذ خير الدين " إن تكرار ما جرب ، حماقة " يقصد أن الأذان لو عاد إلى اللغة التركية مرة أخرى فسيفشل كما فشلت تجربة ١٩٣٢م ، ووصف الأستاذ خير الدين تتريك العبادة بـ " إنما هو أمر مخالف للقيم الإنسانية المعاصرة " حيث كتب مقالة أخرى في جريدة " الشفق الجديد " في عام ١٩٩٧م بعنوان " أ يمكن أن يكون هناك قرآن تركي ؟ !! .

ولذلك يرى المفكرون من مشارق الأرض ومغاربها بأن هذا القرار الأسود ودعوة تنفيذ وصية أتاتورك في هذا الوقت الراهن لا يفيد شيئا في الحياة التركية بل يريد أذنابه بإثارة هذه الدعوات بث الفرقة بين أبناء الوطن الواحد التي تجعل التركية جزائر أخرى - لا سمح الله بذلك - ، ويقولون للعلمانيين الأتراك وتلاميذ كمال أتاتورك وإننا لا ندري نتيجة هذا القرار الأسود ، ولذلك نقول لكم في ضوء التاريخ : لعلكم نسيتم حقيقة التاريخ ومصير أباءكم الأولين الذين أرادوا تصفية أبناء الإسلام والمسلمين في هذه البلاد في باية هذا القرن بالثورة الكمالية العلمانية ولكن إضمحلت الدعوة الكمالية أمام العقيدة والإيمان وذابت كما يذوب الندى أمام الشمس ، وإنكم اليوم في نهاية العقد الأخير من القرن العشرين ولستم في العقد الأول من هذا القرن ، وأنتم سوف تفشلون في تنفيذ أهدافكم الخبيثة كما فشل أباؤكم الأولون في بداية هذا القرنولو بثورة أخرى ولكن بعد سفك دماء الأبرار ، لأن النصر من الله تبارك وتعالى - لا محالة بإذنه تبارك وتعالى - كما قال ﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال في موضع آخر ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وأمور الله جارية في الأرض .